الدّرة الفاخرة
في
كشف علوم الآخرة

للإمام أبي حامد الغزالي

ضبطه وعلق عليه
موفق فوزي الجبر

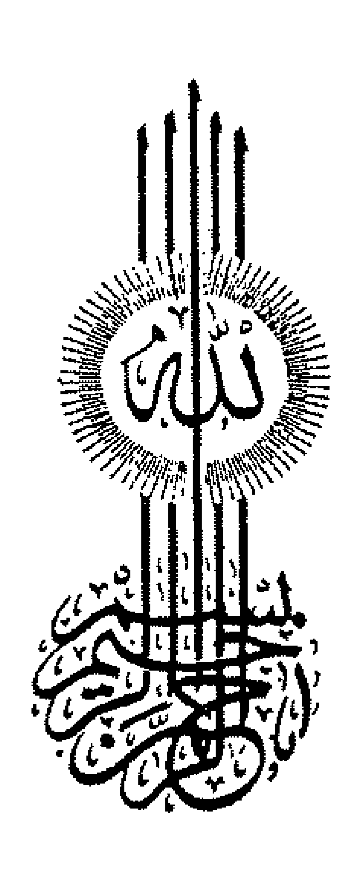


الدّرة الفاخرة
في
كشف علوم الآخرة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م



دمشق - سورية - بناء سادكوب - الحلبوني
سجل تجاري ٢٤٩٦٨
هاتف ٢٢١٢٩٦٧-٢٢٣٠٧٣٨
ص.ب ٧٨٧ - دمشق
ص.ب ١١٣/٥٧٢٠ بيروت



مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمداً كثيراً يوفي نعمه، ويكافىء مزيده، الذي قال في كتابه الكريم: ﴿**ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السّماءِ فتخطفهُ الطيرُ أو تهوي به الريحُ في مكان سحيق**﴾ [الحج: ٣١].

والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه والعالمين.

وبعد:

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) وقد سمّاه بـ [الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة]. وقد بحث في هذا الكتاب أموراً تُهم الناس في دينهم وتميزلهم الطريق السوي من الطريق المعوج من خلال استدلالاته وبراهينه على هذه الأمور مدعماً قوله بالنصوص القرآنية الكريمة والحديث الشريف.

فقد قسّم الغزالي كتابه إلى عدّة فصول، وبحث في كل واحد منه قضية تفيد أولئك الذين يحرصون على دينهم ويذودون عنه بكل ما يملكون. وإليك هذه الفصول:

الفصل الأول: في أمثال الذر من المسح على ظهر آدم

الفصل الثاني: في الموتة الدنيوية.

الفصل الثالث: في موت الفاجر

الفصل الرابع: في أحوال الموتى الفجرة في القبور

الفصل الخامس: في أحوال القبور

الفصل السادس: في أحوال الدنيا عند قيام الساعة وما بعد ذلك

الفصل السابع: في الإقامة التي بين النفختين.

الفصل الثامن: في شفاعة النبيّ ﷺ

الفصل التاسع: في كيفية دعاء أهل الموقف وذكر الاختلاف فيما جاء في تفسيره.

التعريف بالمؤلِّف: (١)

هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة.

ويحكى أن والده كان صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده، يعمل في غزل الصوف ويبعيه في دكانه، ولما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف ومن أهل الخير، وقال له: إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط.

---

(١) ينظر ترجمته في: الأعلام: ٦/٢١٥.

قرأ الغزالي في صباه من الفقه على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم قدم بعد ذلك إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني وجدَّ حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وتصدىٰ للردّ عليهم وإبطال دعاويهم، وصنّف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها، وأجاد وضعها.

وكان الغزالي شديد الذكاء، سديد النظر، قوي الحافظة، بعيد الغَوْر، غوّاصاً على المعاني، مناظراً محجاجاً.

ولمّا مات الجويني، خرج الغزالي قاصداً الوزير نظام الملك، وكان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه، واعترفوا بفضله، وولاه نظام الملك مدرسته «النظّامية» ببغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة فعظمت حشمته حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء لما يتحلى به من حسن الكلام وفصاحة اللسان.

خرج إلى الحج في شهر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة واستناب أخاه في التدريس ببغداد.

دخل دمشق بعد عودته من الحج سنة تسع وثمانين وأربعمائة، فلبث فيها أيام يسيرة، ثم توجه إلى بيت المقدس، فجاور ربه مدّة، ثم عاد إلى دمشق، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع، وبها كانت إقامته.

ثم عزم على الذهاب إلى سلطان المغرب يوسف بن تاشفين، لما رأى فيه من العدل ولكنه لم يذهب لوفاة السلطان، ثم عاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، ثم رجع إلى طوس، ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن، ومجالسة أرباب

القلوب، والتدريس لطلبة العلم، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى. وكانت وفاته بطوس في يوم الأثنين رابع عشر جمادى الآخرة، سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة.

وقد رثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي، بأبيات منها:

مضى وأعظم مفقود فُجعت به   من لا نظير له في الناس يخلفهُ

وقد دُفن الغزالي رحمه الله بظاهر الطابران، وهي قصبة طوس.

مصنفاته وآثاره: نذكر منها.

١ـ إحياء علوم الدين

٢ـ أساس القياس

٣ـ أساس المذاهب

٤ـ أسرار المعاملات

٥ـ الاقتصاد في الاعتقاد، بتحقيق: موفق فوزي الجبر.

٦ـ الأنيس في الوحدة

٧ـ أيها الولد

البيان في مسالك الإيمان

٩ـ تحفة الأدلة

١٠ـ تهافت الفلاسفة في العقائد والكلام

١١ـ جواهر القرآن

١٢ـ حجة الحق

١٣ـ حجة الشرع

١٤ـ حقيقة القوانين

١٥ـ حل الشكوك

١٦ـ خلاصة الفقه

١٧ـ الدرة الفاخرة في كشف علم الآخرة «كتابنا هذا»

١٨ـ الذهب الإبريز.

١٩ـ رسالة الحدود.

٢٠ـ رسالة الطير

٢١ـ زاد المتعلمين

٢٢ـ زاد الآخره

٢٣ـ زجر النفس

٢٤ـ سرّ العالمين

٢٥ـ شفاء القلوب

٢٦ـ فاتحة العلوم

٢٧ـ الفتاوى

٢٨ـ منهاج العابدين، بتحقيق: موفق سوزي الجبر

٢٩ـ ميزان العمل

٣٠ـ نزهة السالكين

بسْم الله الرحمن الرحيمُ
فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي خص نفسه بالدوام. وحكم على من سواه بالانصرام وجعل الموت حال أهل الكفر والإسلام. وفصل بعلمه بين تفاصيل الأحكام وجعل حكم الآخرة خلفاً للمعهود من الأيام. وأنهج ذلك لمن يشاء من خلقه أهل الإكرام.

وصلى الله على سيدنا محمد رسول الملك العلام وعلى آله وصحبه الذين خصهم بحزيل الإنعام في دار السلام.

أما بعد: فقد قال الله تعالى: ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت﴾[١] وثبت ذلك في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع. وإنما أراد الله سبحانه وتعالى الموتات الثلاث للعالمين. فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت. والمتحيز إلى العالم الملكوتى يموت والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت.

فالأول آدم وذريته وجميع الحيوانات على ضروبه الثلاث. والملكوتي وهو الثاني أصناف الملائكة والجن وأهل الجبروتي فهم المصطفون من الملائكة: قال الله

---

(١) وردت في سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
وفي سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.
وفي سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

تعالى:[1] ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾. فهم كروبيون وروحانيون وحملة العرش وأصحاب سرادقات الجلال الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم حيث يقول: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[2].

وهم أهل حظيرة القدس المعينون المنعوتون بقول الله تعالى ﴿لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾[3].

وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربى وليس زلفاهم بمانعة لهم من الموت. فأول ما أذكر لك عن الموت الدنيوى فألق أذنيك لتعي ما أورده وأصفه لك بنقل عن الانتقال من حال إلى حال إن كنت مصدقا بالله ورسوله واليوم الآخر فانى ما آتيك إلا ببينة شهد الله على ما أقول ويصدق مقالتي القرآن. وما صح من حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٧.

فصل
في أمثال الذر من المسح على ظهر آدم

لما قبض الله القبضتين اللتين قبضهما عندما مسح على ظهر آدم عليه السلام فكل ما جمعه في جمعه الأول إنما جمع من شقه الأيمن وكل ما جمع في الآخر إنما جمع من شقه الأيسر. ثم بسط قبضته سبحانه فنظر إليهم آدم في راحتيه الكريمتين وهم أمثال الذر ثم قال: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى فهم بعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء إلى النار ولا أبالي فهم بعمل أهل النار يعملون فقال آدم عليه السلام: يا رب وما عمل أهل النار قال الشرك بي وتكذيب رسلي وعصيان كتابي في الأمر والنهي: قال آدم عليه السلام أشهدهم على أنفسهم عسى أن لا يفعلوا فأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا: وأشهد عليكم الملائكة وآدم أنهم أقروا بربوبيته ثم ردهم إلى مكانهم. وإنما كانوا أحياء أنفساً من غير أجسام. فلما ردهم إلى صلب آدم عليه السلام أماتهم وقبض أرواحهم وجعلها عنده في خزانة من خزائن العرش فإذا سقطت النقطة المتعوسة أقرت في الرحم حتى تمت صورتها والنفس فيها ميتة».

فلجوهرها الملكوتي منعت الجسد من النتن فإذا نفخ الله تعالى فيها الروح ردإليها سرها المقبوض منها الذي خبأه زمانا في خزانة العرش فاضطرب المولود فكم من مولود دب في بطن أمه فربما سمعته الوالدة أو لم تسمعه فهذه موتى أولى وحياة ثانية.

فصل

الموتة الدنيوية

ثم إن الله عز وجل أقامه في الدنيا أيام حياته حتى استوفى اجله المحدود ورزقه المقدور وآثاره المكتوبة. فاذا دنت موتته وهي الموتة الدنيوية فحينئذ نزل عليه أربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى. وملك يجذبها من يده اليمنى، وملك يجذبها من يده اليسرى. وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتى قبل أن يغرغر فيعاين الملائكة على حقيقة عمله على ما يتحيزون إليه من عالمهم فإن كان لسانه منطلقا تحدث بوجودهم فربما أعاد على نفسه الحديث بما رأى وظن أن ذلك من فعل الشيطان فسكن حتى يعقل لسانه وهو يجذبونها من أطراف البنان ورءوس الأصابع. والنفس تنسل انسلال القذاة من السقاء والفاجر تسل روحه كالسفود من الصوف المبلول هكذا حكى صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام والميت يظن أن بطنه ملئت شوكا كأنما نفسه تخرج من خرم إبرة وكأنما السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما. ولهذا سئل كعب رضي الله عنه عن الموت فقال كغصن شوك أدخل في جوف رجل فجذبه إنسان ذو قوة فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى.

وقال[1] عليه الصلاة والسلام: «لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف» فعندها يرشح جسده عرقاوتزور عيناه وتمتد أرنبته[2] وترتفع أضلاعه ويعلو نفسه ويصفر لونه.

ولما عاينت عائشة رسول الله ﷺ في هذه الحالة وهو مستلق في حجرها وهي تكفكف الدمع جعلت تقول شعراً:

بنفسي أفدي ماغصك	من الهايمات وما توجع
ومامسك الجن من قبل ذا	وما كنت ذا روعة تفزع
ومالى انظر في وجهك	كمثل الصباغِ إذا ينقع
إذا شحب اللون من ميت	فأنوارَ وجهك قد تسطع

فإذا احتضرت نفسه إلى القلب خرس لسانه عن النطق. وما أحد ينطق والنفس مجموعة في صدره لوجهين:

أحدهما أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجتمعة فيه.

ألا ترى أن الإنسان إذا أصابته ضربة في صدره بقى مدهوشا فتارة يتكلم وتارة لا يقدر على الكلام وكل مطعون يطعن بصوت إلا مطعون الصدر فانه يخر ميتا من غير تصويت.

وأما الآخر فان السر الذي فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية قد ذهب فصار نفسه متغير الحالتين حال الارتفاع والبرودة لأنه فقد الحرارة فعند هذا الحال تختلف أحوال الموتى فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سقيت سما من نار فتفر النفس وتفيض خارجة فيأخذها في يده ترعد أشبه شيء

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

(٢) أرنبته: طرف الأنف.

بالزئبق على قدر النحلة شخصا إنسانيا ثم الملائكة تناولها الزبانية ومن الموتى من تحذف نفسه رويدا حتى تنحصر في الحنجرة وليس يبقى في الحنجرة إلا شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعنها بتلك الحربة الموصوفة فان النفس لا تفارق القلب حتى يطعن وسر تلك الحربة أنها تغمس في بحر الموت فاذا وضعت على القلب صار سرها في سائر الجسد كالسم الناقع لأن سر الحياة إنما هو موضوع في القلب ويؤثر سره فيه عند النشأة الأولى وقد قال بعض المتكلمين الحياة غير النفس ومعناها اختلاط النفس بالجسد. وعند استقرار النفس في الترقي والارتفاع يعرض عليه الفتن وذلك أن أبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة واستعملهم عليه ووكلهم به فيأتون المرء وهو في تلك الحال فيتمثلون له في صورة من سلف من الأحياء الميتين الباغين له النصح في دار الدنيا كالأب والأم والأخ والأخت والصديق الحميم فيقول له أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن فمت يهوديا فهو الدين المقبول عند الله تعالى فان انصرفوا عنه وأبى جاءه آخرون وقالوا له مت نصرانيا فانه دين المسيح ونسخ به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه وهو معنى قوله تعالى: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾**[1] .

أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا إلى الإيمان فاذا أراد الله تعالى بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة وقيل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

هو جبريل عليه السلام فطرد عنه الشيطان ويمسح الشحوب عن وجهه فيتبسم الميت ضاحكا لا محالة وكثير من يرى متبسما في هذه الحالة فرحا مسروراً بالبشير الذي جاء رحمة من الله تعالى يقول يا فلان ما تعرفني. أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الحنيفية والشريعة المحمدية فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك. وهو قوله تعالى: ﴿**وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾ ثم الموت على الفطرة. ومن الناس من يطعن وهو قائم يصلي أو نائم أو مار في بعض أشغاله أو منعكف على اللهو وهو البغته فتقبض نفسه مرة واحدة.

ومن الناس من إذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن أهل السابقين وأحدق به جيرانه من الموتى وحينئذ يكون له خوار يسمعه كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق.

وآخر ما يفقد من الميت السمع لأن الروح إذا فارقت القلب بأسرها فسد البصر وأما السمع فلا يفقد حتى تقبض النفس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لقنوا موتاكم[1] شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ونهى عن الاكثار بها عليهم لما يجدونه من الهول الأعظم والكرب الأقصم.

فاذا نظرت إلى الميت قد سال لعابه وتقلصت شفتاه وأسود وجهه وازرقت عيناه فاعلم بأنه شقي، قد كشف له عن حقيقة شقوته في الآخرة، وإذا رأيت الميت جاف الفم كأنه يضحك منطلق الوجه مكسورة عينه فاعلم أنه بشر بما يلقاه في الآخرة من

---

(١) وردت في المطبوع « موتاكم » وهو خطأ مطبعي.

السرور وكشف له عن حقيقة كرامته.

فاذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما أثواب حسنة ولهما روائح طيبة فيلفونها في حريرة من حرير الجنة وهي على قدر النحلة شخصا إنسانيا ما فقد من عقله ولا من علمه المكتسب في دار الدنيا فيعرجون به في الهواء منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف فلا تزال تمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر حتى تنتهي إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين من أنت؟ فيقول: أنا صلصيائيل أي جبريل وهذا فلان معنى بأحسن أسمائه وأحبها إليه فيقولون له نعم الرجل كان فلان وكانت عقيدته حسنة غير شاك ثم ينتهى إلى السماء الثانية فيقرع الأمين الباب فيقال من أنت فيقول مقالته الأولى فيقال أهلا وسهلاً بفلان كان محافظا على صلاته وجميع فرائضها ثم يرم حتى ينتهي إلى السماء الثالثة فيقرع الأمين الباب فيقال من أنت فيقول الأمين مقالته الأولى والثانية فيقال كان يرعى الله في حق ماله ولا يتمسك منه بشيء ثم يرم حتى ينتهي إلى السماء الرابعة فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول كدأبه في مقالته فيقال أهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من إدراك الرفث وحرام الطعام ثم ينتهي إلى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول كعادته فيقال أهلا وسهلا به أدى حجة الله الواجبة عليه من غير سمعة ولا رياء ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول الأمين مقالته فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ويتصدق بالسر ويكفل الأيتام ثم يفتح له فيمر حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقول ن الأمين مثل قوله فيقال أهلاً وسهلاً ومرحباً بالعبد الصالح والنفس والطيبة كان كثير الاستغفار وينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف ويكرم المساكين

ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالجنة ويصافحونه حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب فيقول الأمين كدأبه في مقالته فيقال أهلاً وسهلاً ومرحباً بفلان كان عمله عملا صالحا لوجه الله تعالى ثم يفتح له فيمر في بحر من نار ثم يمر في بحر من نور ثم يمر في بحر من ظلمة ثم يمر في ماء ثم يمر في بحر من ثلج ثم يمر في بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن وهي ثمانون ألفاً من السرادقات لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة قمر يهلل الله تعالى ويسبحه ويقدسه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لعبد من دون الله ولأحرقها نوره فحينئذ ينادي مناد من الحضرة القدسية من وراء السرادقات من هذه النفس التي جئتم بها فيقول فلان بن فلان فيقول الجليل جل جلاله قربوه فنعم العبد كنت يا عبدي فاذا وقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه سبحانه.

كما روى عن يحيى بن أكثم القاضي وقد رُئي في المنام فقيل: له ما فعل الله بك فقال وقفنى بين يديه ثم قال: يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقال يا رب ما بهذا حدثت عنك قال: فماذا حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت إني لأستحي أن أعذب شيبة شابت في الإسلام فقال: يا يحيى، صدقت وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك وعن ابن بنانة وقد رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال: وقفنى بين يديه

الكريمتين وقال: أنت الذي تلخص كلامك حتى يقال ما أفصحه قلت سبحانك إني كنت في الدنيا أصفك قال قل كما كنت تقول في دار الدنيا قلت أماتهم الذي خلقهم وأسكتهم الذي أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم وسيجمعهم كما فرقهم قال لي صدقت أذهب قد غفرت لك.

وعن منصور بن عمار أنه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وقفني بين يديه الكريمتين وقال لي بماذا جئتنى يا منصور قلت بستة وثلاثين حجة قال لي ماقبلت منها ولا واحدة ثم قال بماذا جئتنى قلت بثلاثمائة وستين ختمة قرأتها لوجهك الكريم قال ما قبلت منها واحدة ثم قال لي بماذا جئتني يا منصور فقلت جئتك برحمتك قال سبحانه الآن جئتنى اذهب فقد غفرت لك. وكثير من هذه الحكايات تخبر بهذه الأمور. وإنما حدثتك شيئا ليقتدى به المقتدى والله المستعان. ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء ردوه فمنهم من يرد من الحجب وإنما يصل إلى الله تعالى عارفوه ولا يقف بين يديه إلا أهل المقام الرابع فصاعدا.

فصل
في موت الفاجر

وأما الفاجر فتؤخذ نفسه عنفا فاذا وجهه كآكل الحنظل والملك يقول اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث فاذا له صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير فاذا عزرائيل ناولها زبانية قباح الوجوه سود الثياب منتنى الريح بأيديهم مسوح من شعر فيلفونها فيه فتستحيل شخصاً إنسانياً على قدر الجرادة فإن الكافر أعظم جرما من المؤمن يعنى الجسم في الآخرة. وفي الصحيح: «أن ضرس الكافر في النار مثل أحد»[١] .

قال فيعرج به حتى ينتهى إلى باب سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال من أنت فيقول أنا قيابيل فيقال من معك فيقول فلان بن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه في دار الدنيا فيقال لا أهلا وسهلاً ولا يفتح له أبواب السماء[٢] :﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فاذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه في يده فتهوى به الريح في مكان سحيق أي بعيد وهو قوله عز وجل: ﴿ومَنْ يشْرِكْ بالله فكأنّما خرَّ من السّماءِ فتخطفُه الطيرُ أو تهوى بِهِ الريحُ في مكانٍ سحيقٍ﴾[٣] .

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي والحاكم والبزار.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) سورة الحج، الآية : ٣١.

فياله من خزى حل به فإذا انتهى به إلى الأرض ابتدرته الزبانية وسارت به إلى سجين وهي صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار وأما اليهود والنصارى فمردودون من الكرسي إلى قبورهم هذا من مات منهم على شريعته ويشاهد غسله ودفنه.

وأما المشرك فلا يشاهد شيئاً من ذلك لأنه قد هوى به.

وأما المنافق فمثل الثاني يرد ممقوتا مطرودا إلى حفرته. وأما المقصرون من المؤمنين فتختلف أنواعهم فمنهم من ترده صلاته لأن العبد إذا نقرفي صلاته سارقاً لها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجهه ثم تعرج وهي تقول ضيعك الله كما ضيعتني. ومنهم من ترده زكاته لأنه إنما يزكى ليقال فلان متصدق وربما وضعها عند النسوان فاستجلب بها محبتهن. ولقد رأيناه عافانا الله مما حل به. ومن الناس من يرده صومه لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران فخرج الشهر عنه وقد لهوجه[1].

ومن الناس من يرده حجه لأنه إنما حج ليقال فلان حج أو يكون حج بمال خبيث. ومن الناس من يرده العقوق وسائر أحوال البر كلها لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات وتخصيص العمل الذي للملك الوهاب.

فكل هذه المعاني جاءت بها الآثار والأخبار كالخبر الذي رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه في رد الأعمال وغيرها وإنما أردت

(١) أي لم يتقنه.

تقريب الأمر ولولا الاختصار لكنت ملأت الدواوين من تصحيح ذلك وأهل الشرع يعرفون صحة ذلك كما يعرفون أبناءهم.

فاذا ردت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ في غسله إن كان قد غسل فتقعد عند رأسه حتى يغسل فيكشف الله عن بصر من يشاء من الصالحين فينظرها على صورتها الدنيوية.

وقد حدث شخص أنه غسل ابنا له فإذا هو بشخص قاعد عند رأسه فأدركه الوهم فترك الجهة التي رأى فيها الشخص وتحول إلى الجهة الأخرى فلم يزل ينظره حتى أدرج الميت في كفنه فعاد إليه ذلك الشخص فشاهده العالم وهو على النعش.

كما روى عن غير واحد من الصالحين أنه نادى ميتاً وهو في النعش أين فلان وأين الروح فانتقض الكفن من تلقاه صدره مرتين أو ثلاثة.

وعن الربيع بن خثيم أنه اضطرب في يد غاسله وقد علم أن الميت تكلم في نعشه على عهد الصديق وذكر فضله وفضل الفاروق وإنما هي النفس تشاهد أمراً ملكوتيا ويكشف الله عن سمع من يشاء.

فإذا أدرج الميت في أكفانه صارت الروح ملتصقة بالصدر خارجه ولهاخوار وعجيج وهي تقول أسرعوا بي إلى أي رحمة ربي لو علمتم ما أنتم حاملوني إليه.

فإن كان من يبشر بالشقاء يقول: رويدا بي إلى أي عذاب لو تعلمون ما أنتم حاملوني إليه ولأجل ذلك كان رسول الله ﷺ لا يمر به جنازة إلا قام لها قياما وفي

الصحيح[1] أنه ﷺ مرت به جنازة فقام لها تعظيما فقيل: يا رسول الله إنه يهودي؟ فقال: أليست نفسا وإنما كان يفعله لأنه كشف له عن أسرار الملكوت فكان يسر بالميت إذا مر به لأنه من أهل فهمه ومعانيه.

فاذا دخل الميت القبر وأهيل عليه التراب ناداه القبر كنت تفرح على ظهرى واليوم تحزن في بطنى كنت تأكل الألوان على ظهرى والآن تأكلك الديدان في بطني ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب ثم يناديه ملك يقال له رومان.

وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره قال: يا ابن مسعود ما سألني عنه أحد إلا أنت فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول: يا عبد الله اكتب عملك فيقول: ليس معي دواة ولا قرطاس فيقول هيهات كفك قرطاسك ومدادك ريقك وقلبك إصبعك فيقطع قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا فيكتب حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوى الملك الرقعة ويعلقها في عنقه ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ في عُنُقِهِ﴾[2].

فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض كلاهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

كالريح العاصف وبيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان مارفعاه لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا فاذا أبصرتهما النفس ارتعدت وولت هاربة فتدخل في منخر الميت فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ولا يقدر على حركة غير أنه يسمع وينظر قال فيسألانه بعنف وينهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيثما تحرك انفنح فيه ووجد فيه فرجة فيقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك وما قبلتك فمن وفقه الله وثبته بالقول الثابت قال من وكلكما على ومن أرسلكما إلى ثم يقول الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني وهذا ما يقوله إلا العلماء الأخيار فيقول أحدهما للآخر: صدق لقد كفى شرنا ولقن حجته ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له بابا إلى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها وريحانها ويدخل عليه من نسيمها وروائحها ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص إليه يؤنسه ويحدثه ويملأ قبره نوراً ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة فليس شيء أحب إليه من قيامها.

ودونه في المنزلة المؤمن القليل العلم والعمل ليس معه حظه من العلم ولامن أسرار الملكوت يلج عليه عمله عقيب رومان في أحسن صورة طيبة الريح حسن الثياب فيقول له أما تعرفنى فيقول من أنت الذي من الله على بك في غربتي فيقول أنا عملك الصالح لا تحزن ولا توجل فعما قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلا تدهش ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك إذ دخلا عليه كما تقدم ذكرهما فينهرانه ويقعدانه مستندا ويقولان له من ربك فيسبق إلى القول الأول فيقول الله ربي ومحمد نبيي والقرآن إمامي والكعبة

قبلتي وإبراهيم أبي وملته ملتي غير مستعجم فيقولان له صدقت ويفعلان به كالأول إلا أنهما يفتحان له بابا من النار من تلقاه شماله فينظر إلى حياتها وعقاربها وأغلالها وسلاسلها وحميمها وجميع ما فيها من صديدها وزقومها فيفزع فيقولان له لا عليك سوء هذا موضعك كان من النار قد أبدله الله تعالى به موضعك هذا من الجنة نم سعيداً ثم يغلقان عنه باب النار ولم يدر مامر عليه من الشهور والأعوام والدهور.

ومن الناس من ينعجم في مسألته وإن كانت عقيدته مختلفة امتنع أن يقول الله ربي وأخذ يذكر غيرها من الألفاظ فبضرباته ضربة يشتعل قبره منها ناراً ثم يطفأ عنه أياما ثم يشتعل عليه أيضاً ثم دأبه ما بقيت الدنيا ومن الناس من يعتاص عليه ويعسر أن يقول الإسلام ديني بشك كان يتوهمه أو فتنة تقع به عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره ناراً كالأول ومن الناس من يعسر عليه أن يقول القرآن إمامي لأنه يتلوه ولا يتعظ به ولايعمل بإوامره ولاينتهي بنواهيه يطوف عليه دهره ولايعظ نفسه خيره فيفعل به ما فعل بالأولين ومن الناس من يستحيل عمله جروا يعذب به في قبره على قدر جرمه.

في الأخبار أن من الناس من يستحيل عمله حنوصا وهو ولد الخنزير ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول محمد نبيي لأنه كان ناسيا لسنتة ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول الكعبة قبلتي لقلة تحريه في صلاته أو فساد في وضوئه أو التفات في صلاته أو اختلال في ركوعه وسجوده ويكفيك ماروى في فضائلها أن الله لا

يقبل صلاة ممن عليه صلاة ومن عليه ثوب حرام ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول أبي إبراهيم لأنه سمع كلاما يوما أوهمه إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فإذا هو شاب مرتاب فيفعل به ما فعل بالآخرين وكل هذه الأنواع كشفناها في كتاب الإحياء.

فصل
في أحوال الموتى الفجرة في القبور

وأما الفاجر: فيقولان له من ربك فيقول: لا أدرى فيقولان له لا دريت ولا عرفت ثم يضربانه بتلك المقامع الحديد حتى يتجلجل في الأرض السابعة ثم تنفضه الأرض في قبره ثم يضربانه سبع مرات. ثم تختلف أحوالهم فمنهم من يستحيل عمله كلباً ينهشه حتى تقوم الساعة وهم المرتابون وهي أنواع تعترى أهل القبور وإنما آثرنا الاختصار في ذكرها وأصلها أن الرجل إنمايعذب في قبره بالشيء الذي كان يخافه في الدنيا فمن الناس من يخاف الجرو أكثر.

وطبائع الخلق مفترقة نسأل الله السلامة والغفران قبل الندامة وقد روى عن غير واحد من الموتى أنه رئى في المنام فقيل له كيف كان حالك فقال صليت بلا وضوء فوكل الله على ذئبا يروعنى في قبرى فحالى معه سوء حال.

وآخر رئي في المنام فقال ما فعل الله بك فقال عني فاني لم أتمكن في غسل يوم من الجنابة فألبسنى الله ثوبا من نار أتقلب فيها إلى يوم القيامة ورئي آخر فقيل ما فعل الله بك فقال الغاسل الذي غسلني حملني بعنف فخدشنى مسمار كان في المغتسل قائماً فتألمت منه فلما أصبح الصباح سئل الغاسل فقال كان ذلك من

غير اختياري ورؤي آخر في المنام فقيل له كيف حالك أو لم تمت قال نعم وأنا بخير غير أن الحجر كسر ضلعي عندما سوى على التراب فأضرني ففتح القبر فوجدوه كما قال وآخر جاء إلى ولده في النوم فقيل له يا ولد سوء أصلح قبر أبيك لقد آذاه المطر فلما أصبح بعث لرجل إلى قبر أبيه فوجد جدولا من الماء وقد أتى عليه من سيل وإذا بالقبر مملوء من الماء وعن أعرابي أنه قال لولده ما فعل الله بك قال ما ضرني إلا أن دفنت بإزاء فلان وكان فاسقا قد روعني ما يعذب به من أنواع العذاب وكثيراً ما جاء في مثل هذه الأخبار حكايات تبين أن أهل القبور يؤلمون في قبورهم وكفى بالخبر دلالة حيث يقول صاحب الشرع ﷺ يؤلم الميت في قبره كما يؤلم الحي في بيته وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسر عظام الميت[١].

وقد مر برجل قاعد على فناء قبر فنهاه وقال لاتودوا الموتى في قبورهم.

وقد زار النبي ﷺ[٢] قبر أمه آمنة فبكى وأبكى من كان معه، ثم قال: استأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي ثم استأذنت أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر بالموت.

وكان إذا حضر إلى المقابر ليزورها يقول ﷺ: سلاما على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك

---

(١) رواه أحمد في المسند وأبو داود وابن ماجه عن عائشة.
(٢) رواه مسلم في الصحيح.

عنا وعنهم فكان يعلم نساءه ﷺ إذا خرج النساء إلى المقابر يقول لهن قولوا هذا الكلام ويعلمهن إياه.

وقال صالح المزنى سألت بعض العلماء لأي شيء نهى عن الصلاة في المقبرة فقال ورد حديث فاستدل بحديث لا تصلوا بين القبور فان ذلك حسرة لا منتهى لها[1].

وروى عن بعضهم أنه قال قمت أصلى ذات يوم في المقابر وقد اشتد الحر وقوى إذ رأيت شخصا يشبه أبي جالسا على ظهر قبره فسجدت فزعا فسمعته يقول ضاقت عليك الأرض رحبا حتى جئت تؤذينا بصلاتك منذ زمان.

وفي الحديث الصحيح أن رسول اللهﷺ مر بيتيم يبكي على قبر أبيه فبكى رحمة له ثم قال إن[2] الميت ليعذب ببكاء أهله عليه أي أن ذلك يحزنه ويسوؤه فكم من ميت رئي في المنام فقيل له كيف حالك يا فلان فيقول حال سوء ساء حالي من فلان وفلانة كانا يكثران البكاء والنواح عليّ.

إلا أن الزنادقة ينكرون ذلك قبله

ورسول الله ﷺ قال[3] : «ما من أحد منكم يمر بقبر أخيه المؤمن ممن يعرفه في الدينا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه»

وكذا حدّث عليه الصلاة والسلام وقد أنصرف عن جنازة

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر.
(٣) رواه ابن ماجه.

دفنوها أنه يسمع قرع نعالهم وهم بغيره أسمع وأسمع ومات بعض الفقهاء ولم يوص بشيء ثم طاف على أهل بيته بالليل وقال أعطوا فلانا كيت وكيت من الزرع وادفعوا لفلان كتابه الذي كان عندي مودوعا منذ زمان فلما أصبحوا ذكر كل واحد منهم لأخيه ما رأى ثم دفعوا الزرع وطلبوا الكتاب فلم يجدوه فتعجبوا من ذلك ثم إنهم وجدوه بعد زمان في زوايا البيت.

وعن بعضهم قال اتخذ أبونا لنا مؤدبا يعلمنا الكتابة في الدار فمات فخرجنا إلى قبره بعد ستة أيام وجعلنا نتذاكر أمر الله عز وجل فمر بنا طبق من تين فاشتريناه وأكلناه ورمينا الأذناب على القبر فلما كان تلك الليلة رأي أبونا الشيخ في المنام فقال له كيف حالك فقال بخير غير أو أولادك اتخذوا قبرى مزبلة وتحدثوا على بكلام هو كفر فخاصمنا أبونا للشيخ وقال إن الشيخ قال لي إنهم قالوا عند قبري شيئاً يشبه الكفر فقلنا يا سبحان الله لا يزال يؤدبنا في الدنيا والآخرة.

ومن هذه الحكايات كثير إلا أنى ذكرت هذا القدر أمثالا ومواعظ ليعتبر بالأقل.

فصل
في أحوال أهل القبور

وأما أهل القبور. فعلى أربعة أحوال:

فمنهم القاعد على عقبة حتى تنتثر العين وتورم الجثة ويعود الجسم ترابا ثم لا يزال بعد ذلك طوافا في الملكوت دون سماء الدنيا.

ومنهم من يرسل الله عليه نعسة فلا يدرى ما فعل حتى ينتبه مع النفخة الأولى ثم يموت.

ومنهم من لا يقوم على قبره إلا شهرين أو ثلاثاً ثم تركب نفسه على طير يهوى به في الجنة وهو الحديث الصحيح حيث يقول صاحب الشرع ﷺ[1] «نسمة المؤمن من طائر يعلق في شجر الجنة» وفي المعنى الصحيح والوجه الحسن وكذلك سئل عن أرواح الشهداء فقال[2] : «الشهداء في حواصل طيور خضر تعلق بهم في شجرة الجنة».

ومن الناس من إذا بادت عينه عرج به إلى الصور فلا يزال لازما له حتى ينفخ في الصور والنوع الرابع خص به الأنبياء

---

(١) رواه النسائي.
(٢) رواه ابن ماجه.

والأولياء ولهم الخيار فمنهم من يكون طوافا في الأرض حتى تقوم الساعة وكثيراً ما يرى في الليل وأظن الصديق منهم والفاروق.

والرسول ﷺ له الخيار في طواف العوالم الثلاثة وعن هذه الارادة قال يوما تنبيها وإشارة ﷺ إبي أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث وكانت ثلاث عشرات لأن الحسين قتل على رأس الثلاثين سنة فغضب على أهل الأرض وعرج إلى السماء وقد رآه بعض الصالحين في النوم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما ترى في فتن أمتك قال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظوني فيه ثم جعل يعدد كلاما اشتبه على الراوي.

منهم من اختار السماء السابعة كإبراهيم عليه السلام وفي الحديث أنه أمر به ﷺ وهو مسند ظهره إلى البيت المعمور وقد أحدق به أولاد المسلمين وعيسى عليه السلام في السماء الخامسة وفي كل سماء رسل وأنبياء لا يخرجون منها ولا يبرحون حتى الصعقة وليس منهم من له الخيار إلا الخليل والكليم والروح والحبيب هؤلاء ينتهون حيث أرادوا من العالمين وأما الأولياء فمنهم من وقف على البعثة الدنيوية.

كما روى عن أبي يزيد أنه تحت العرش يأكل من مائدة. وعلى هذه الأنواع الاربعة حال أهل القبور يعذبون ويرحمون ويهانون ويكرمون فالذين هم منهم يحدقون بالميت إذا احتضر حتى يضيق بهم رحاب المنازل وربما كشف له فيراهم ويفطن بهم وقد رأيت من حدث بهذا النوع وقد رأيت بعض الأصحاب كشف عن بصيرته فنظر إلى ولده الميت قد ولج البيت والميت يفيق

ويتصور وهذه الفوائد الملكوتية إنما تكون لكريم أو نسيب نسأل الله أن يجود لنا بمعرفة ما نخوض به بحر أسرارها حتى يرتفع الشك والارتياب ومع هذه الأنواع الموصوفة لا يعقل منهم تكوين الليل والنهار إلا من كان عينه باقية لم يعرج به علوا فمنهم من يعرف الجمعة والأعياد وإذا خرج أحد من الدنيا اجتمعوا إليه وعرفوه فهذا يسأل عن زوجته وهذا يسأل عن والده وكل واحد يسأل عن أربه وربما مات الميت فلم يلق أحد معارفه لزيغ يصيبه عند الموت فيموت يهوديا أو نصرانيا فيصير إلى عساكرهم فاذا قدم أحد من الدنيا سأله جيرانه ما عليك بفلان فيقول لهم قد مات فيقال إنا لله وإنا إليه راجعون ما رأيناه سلك به إلى أمه الهاوية وقد رئي بعض الناس فقيل له ما فعل الله بك قال أنا وفلان وفلان وعد خمسة من أصحابه في خير كثير ونعمة وكان قتله الخوارج مع أصحابه المعروفين وسأل عن جار له ما فعل الله به فقال ما رأيناه وإنما كان هذا المنكور ألقى نفسه في اليم حتى مات غرقا وأظنه والله مع قاتلى أنفسهم.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال[1] : «من قتل نفسه بحديدة جاء يوم القيام وحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في بطن جهنم خالداً مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم» الحديث.

وكذلك المرأة تموت بحد لا تزال تجد ذلك الألم حتى النفخة فهذه حياة ثانية.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد صح أن آدم عليه السلام لقي موسى عليه السلام فقال له أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته فلم عصيته قال له يا موسى نعم فقال له في كم سنة وجدت الذنب قدر عليّ قبل فعله قال له كتب عليك قبل أن تفعله بخمسين ألف سنة قال يا موسى أفتلومني على ذنب قدر على قبل أن أفعله بخمسين ألف عام.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بالمرسلين ليلة أسرى به ركعتين وأنه سلم على هارون عليه السلام فدعا له بالرحمة ولأمته وأنه سلم على إدريس فدعا له بالرحمة ولأمته وكان أولئك قد ماتوا وبادت أعينهم وإنما هي حياة الأنفس وبعد هذا الإحياء حياة ثالثة والحياة الأولية يوم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ولا يعتد بالحياة الدنيوية فإنها مسخرة للتنعم.

ويروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال[1] : «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا». فهذه أحوال الأموات إذا بادت أعينهم منهم المستقر ومنهم الطواف ومنهم المضروب عليه ومنهم المعذب والدليل على صحة ذلك قوله تعالى[2] : **﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾**. واليوم بيان عذاب البرزخ.

---

(١) رواه البيهقي.
(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

فصل
في أحوال الدنيا عند قيام الساعة وما بعد ذلك

فإذا أراد الله تعالى قيام الساعة دون النفخ في الصور على السر الذي بيناه في الإحياء فاذا الجبال تتطاير وتسير مثل السحاب وإذا البحار قد تفجرت بعضها في بعض وتكورت الشمس فبادت سوداء مزبرة وسجرت الجبال على أمثال عالم الهواء ودخل العالم بعضه في بعض وانتثرت النجوم كالسلك إذا انتثر من نظمه وعادت السماء كدهن الورد تدور كدوران الرحا والأرض قد زلزلت زلزالا شديدا تارة تنقبض وتارة تنبسط كالأديم حتى أن الله يأمر بخلع الأفلاك فلا يبقى في الأرضين السبع ولا السموات السبع ولا في الكرسي حي كائن إلا وقد ذهبت نفسه وإن كان روحانيا ذهبت روحه وقد خلت الأرض من عمارها والسماء من سكانها على ضروب الموحدين ثم إن الله جل جلاله يتجلى في المقام فيقبض السموات السبع في يمينه والأرضين السبع الأخرى ثم يقول الله عز وجل يا دنيا يا دنيه. أين أربابك وأين أصحابك منيتهم ببهجتك وشغلتهم عن آخرتهم برهوك ثم يثنى على نفسه بما شاء ويفتخر بالبقاء المستمر والعز الدائم والملك الباقي والقدرة القاهرة والحكمة الباهرة ثم يقول تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه بأن يقول الله الواحد القهار ثم يفعل فعلا أعظم

من الأول وهو أن يأخذ السموات على أصبع والأرضين على، إصبع ثم يهزها ويقول سبحانه أنا الملك الديان أين عبدة الأوثان الذين عبدوا غيري من دوني وأشركوا بي وأكلوا رزقي؟ أين الذين تقووا برزقي على المعاصي؟ أين الجبابرة؟ أين من تكبر وافتخر؟ لمن الملك اليوم كالمرة الأولى ثم يمكث كذلك سبحانه وتعالى ما شاء الله وليس من العرش إلى المقام نسمة تلوح تعقل وقد ضرب الله على آذان الحور والولدان في جنتهم.

ثم يكشف الله سبحانه وتعالى عن بئر في سقر فيخرج منها لهيب النار فتشتعل في الأربعة عشر بحرا كما تشتعل النار في الصوف المنفوش فما تدع منها قطرة واحدة وتدع الأرضين جملة سوداء والسموات كأنها عكر الزيت والنحاس المذاب فإذا دنا اللهيب أن يتعلق بعنان السماء زجر الله النار زجرة خمدت ثم لا يرفع لها لهيب ثم يفتح الله سبحانه وتعالى خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة فتمطر الأرض فاذا هو كمنى الرجال فيلقى الأرض عطشى ميتة هامدة فتحيا وتهتز ولا يزال المطر عليها حتى يعمها ويكون الماء أربعين ذراعا فاذا جاء الأجسام تنبت من العصعص.

وفي الحديث: «أن الإنسان يبدأ من عجب الذنب ومنه يعود».

وفي رواية أخرى يبلى المرء كله إلا عجب الذنب منه بدىء ومنه يعود وهو عظم على قدر الحمصة ليس له مخ فمنه تنبت الأجسام في مقابرها كما ينبت البقال حتى يشتبك بعضها في بعض فاذا رأس هذا عندمنكب هذا ويد هذا عند عجز هذا لكثرة البشر

وفي معنى قوله عز وجل[1] ﴿**قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ**﴾.

نبهنا عليه في كتابنا الإحياء فاذا تمت النشأة على حسبها الصبي صبي والشيخ شيخ والكهل كهل والفتى فتى والشاب شاب أمر الجليل جل جلاله أنه تهب ريح من تحت العرش فيها نار لطيفة فيكشف ذلك عن الأرض وتبقى الأرض بارزة ليس فيها حدب ولا عوج ولا أمت وقد عادت الجبال رمالا وهو الكثيب المهيل ثم يحيي الله سبحانه وتعالى إسرافيل فينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس والصور قرن من نور له أربعة عشر دارة الدارة الواحدة فيها ثقب بعدد أرواح البرية فتخرج أرواح البرايا لها دوي كدوي النحل فتملأ ما بين الخافقين ثم تذهب كل نسمة إلى جثتها فسبحان ملهمهم إياها حتى الوحش والطير وكل ذي روح فاذا الكل كما قال تعالى: ﴿**ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**﴾.

والزجرة العظيمة هي الصيحة كما قال الله تعالى:[2] ﴿**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**﴾.

والساهرة هي الأرض السفلى لأنهم فتحوا أبصارهم عند قيامهم فنظروا إلى جبال منسوفة وبحار منزوفة والأرض لاعوج فيها ولا أمت.

والأمت الشيء المرتفع كالربوة والعوج الأرض المنخفضة كالوهدة والأودية وإنما صارت مستوية كأنها صحفة قاعدة فتعجبوا

---

(١) سورة ق، الآية: ٤.

(٢) سورة النازعات، الآية: ١٤.

لما نظروا من الساهرة وقعد كل واحد منهم على قبره عريانا منتظراً متعجبا متفكرا معتبرا كما قال ﷺ في الصحيح[1] : «عراة غرلاً» أي غير مختونين إلا قوما ماتوا في الغربة مؤمنين لم يكفنوا فإنهم يحشرون وقد كسوا ثيابا من الجنة وأقواما ماتوا شهداء فيقومون وقد كسوا من الجنة وأقواما أيضاً من أمة محمد ﷺ متحرين السنة ماخافوا عنها سم الخياط فإن رسول الله ﷺ قال: «بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتى تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة» رواه أبو سفيان مسندا.

وقال صلى الله عليه وسلم[2] : «يحشر الميت في ثيابه وبعض الموتى لما احتضر قال اكسوني الثوب الفلاني فمنع منه حتى مات في غلالة ليس عليه غيرها فرئي في المنام بعد أيام قلائل كأنه حزين فقال له: ما بالك فأعرض عن خطابة ثم قال منعتموني ثوبي وجعلتموني أحشر في هذه الغلالة لا غير».

---

(١) رواه مسلم والبخاري.

(٢) رواه البزار .

فصل
في الإقامة التي بين النفختين

وهي الموتة الثانية لأنها منعت من الحواس الباطنة. والموت الجسماني منع من الحواس الظاهرة لأن الأجرام هي الفاعلة للحركة ولأنهم لا يصلون ولا يصومون ولاهم يتعبدون ولو أدخل الله ملكا في جثة لأقام فيها لأنه ذو حرص على التحيز إلى عالمه والنفس جوهر بسيط فإذا ركبت في الجسد صحت حياته وأفعاله.

واختلف الناس في هذه المدة الكائنة بين النفختين واستقر جمهورهم على أنها أربعون سنة وحدثني من لا أشك في علمه ولا معرفته أن أمر ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى لأنه من أسرار الربوبية وكذلك حدثني أن الاستثناء واقع عليه سبحانه وتعالى خاصة فقلت ما معنى قول النبي ﷺ[1] : «أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة» فإذا أخي موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أبعث قبلي أم كان ممن استثناه الله عز وجل فلا يخرج من هذا الحديث على ما نقدره إلا غير أجسام وإن كان موسى الآن لاجثة له ويبعد الاستثناء الذي عن رسول الله ﷺ في أمر الفزع لأن البرايا عند الصعقة وعند الفزعة.

كما قال كعب وقد حدث في مجلس عمر بن الخطاب رضي

---

(١) رواه البخاري.

الله تعالى عنه عن هول المقام حيث قال فلو كان ذلك يا بن الخطاب عمل سبعين نبيا لظننت أنك لا تنجو من ذلك اليوم إلا قوما استثناهم الله في هول الفزع والصعق وهم أهل المقام الرابع لا شك أن موسى أحدهم والاستثناء من بلوغ الأمر ولو كان هناك أحد لأجاب الله تعالى حين يقول لمن الملك اليوم لقال لك ياواحد يا قهار.

فصل

فإذا استوى كل أحد قاعداً على قبره فمنهم العريان والمكسو والأسود والأبيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح العظيم ومنهم من يكون له نور كالشمس إلا أن كل واحد منهم لا يزال مطرقا برأسه ما يدري ما يصنع ألف عام حتى تظهر نار من المغرب لها دوي تسوق الخلق إلى المحشر فيندهش لها رؤوس الخليقة إنساً وجناً ووحشاً وطيرا فيأخذ كل واحد عمله ويقول قم وانهض إلى المحشر فمن كان له حينئذ عمل جيد تشخص عمله بغلا ومنهم من تشخص عمله له حمارا ومنهم من تشخص له عمله كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ويجعل لكل واحد نور شعاعي بين يديه وعن يمينه مثله يسرى بين يديه في الظلمات وهو قوله تعالى:[1] ﴿**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**﴾ وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع أحد ينظر فيها يحتار فيها الكفار ويتردد المرتابون والمؤمن ينظر إلى قوة حلكها وشدة حندسها ويحمد الله على ما أعطاه من النور المهتدى به في تلك الشدة ويسعى بين أيديهم لأن الله يكشف للعبد المؤمن المتنعم عن أحوال أهل الشقاء المعذبين ليستبين له سبل الفائدة كما فعل أهل الجنة وأهل النار حيث يقول فاطلع فرآه في سواء الجحيم وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا**

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾. [١] لأن أربعا لا يعرف قدرها إلا أربعة لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ولا يعرف قدر الشدة إلا أهل النعم ولا يعرف قدر الغنى إلا الفقراء ولا يعرف قدر الصحة إلا المرضى.

ومن الناس من يسعى على قدميه وعلى أطراف بنانه ومنهم من له نور ينطفىء تارة ويشتعل أخرى وإنما نورهم عند البعث على قدر إيمانهم وسرعة خطواتهم على قدر أعمالهم قيل لرسول الله ﷺ في حديث صحيح كيف نحشر يا رسول الله؟ قال[٢] : «اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير».

ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن قوما يتلاقون في الإسلام فيرحمهم الله تعالى خلق لهم من أعمالهم بعيرا يركبون عليه وهذا من ضعف العمل لأنهم مشتركون معهم فهم كقوم خرجوا في سفر بعيد وليس معهم أحد منهم من يشترى مطية توصله فاشترك في ثمنها رجلان أو ثلاثة فاشتروا مطية يتعقبون عليها في الطريق وقد يبلغ بعير مع عشرة فهذا العجز في العمل معناه قبض اليد في المال أي منع التصرف فيه ومع هذا يحكم له بالسلامة فاعمل هداك الله عملا يكون لك بعيرا خالصاً من الشركة واعلم أن ذلك هو المتجر الرابح فالمتقون وافدون كما قال الجليل جل جلاله[٣] ﴿يومَ نحشرُ المتقينَ إلى الرّحمنِ وفْداً﴾.

وفي غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال يوما

---

(١) سورة الإعراف الآية ٤٧

(٢) رواه الحاكم

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٥

لأصحابه[1] : «كان رجل من بني إسرائيل كثيرا ما يفعل الخير حتى إنه ليحشر فيكم» قالوا له: وما كان يصنع قال: «ورث من أبيه مالا كثيرا فاشترى بستانا فحبسه للمساكين وقال: هذا بستاني عند الله وفرق دنانير عديدة في الضعفاء وقال بهذا أشترى جارية من الله تعالى وعبيدا وأعتق رقابا كثيرة وقال هؤلاء خدمي عند الله والتفت ذات يوم إلى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشي وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها وقال هذه مطيتي عند الله تعالى أركبها والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إليها وقد جيء بها مسرجة ملجمة لأركبها في الموقف»[2].

وقيل في تفسير قوله تعالى[3] **﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم﴾** أنه مثل ضربه الله ليوم القيامة في حشر المؤمنين والكافرين.

كما قال الله تعالى[4] **﴿ونسوقُ المجرمينَ إلى جهنمَ وِرْداً﴾** أي مشاة على وجوههم هذا قول بعض المفسرين وليس الأمر كما حكاه وإنما السر في ذلك أنه تارة يمشي وتارة يكبو على وجهه.

والذي تأوله بعيد لأن الله تعالى ذكر الأرجل فقال تعالى **﴿وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾** وقوله **﴿عميا وبكما وصما﴾** تفسير غير المقصد الذي أرادوه وترك الإشارة التي نبأك عليها فقد رأيت العرب يتمثلون بها ويقولون هذا يمشي على وجهه إذا كان يكبو

---

(١) رواه النسائي.
(٢) رواه البزار.
(٣) سورة الملك، الآية: ٢٢.
(٤) سورة مريم، الآية: ٨٦.

ومعناه عميا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين وعن أيمانهم وليس العمى الكلى إرادتهم لأنه لا خلاف أنهم ينظرون السماء تنشق بالغمام والملائكة تنزل والجبال تسير والكواكب تنثر.

وكل أهوال يوم القيامة تفسير قوله تعالى[1] : **﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾** فمعنى العمىٰ في القيامة الخوض في الظلمة والمنع عن النظر إلى الكريم إذ نور الله سبحانه وتعالى تشرق به الأرض البيضاء وهم قد ضرب على أبصارهم غشاوة لا ينظرون إلى شيء من ذلك. كذلك ضرب على آذانهم. فلا يسمعون كلام الله تعالى والملائكة الذين ينادون[2] **﴿لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾** وكذلك منعوا من الكلام كأنهم بكم. يفسره قوله تعالى:[3] **﴿هذا يومُ لا يَنطقُونَ ولاَ يؤْذَنُ لَهمْ فيعتذِرونَ﴾** والممنوع من الشيء موصوف بالضعف عن قدرته وإن كانت الصفة فيه موجودة كأنها معدومة الوجود في حال دون حال.

ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية فقوم مفتونون بالعود وعاكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول سحقا لك شغلتنى عن ذكر الله فيعود إليه ويقول أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

---

(١) سورة الطور، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٤٩.
(٣) سورة المرسلات، الآية: ٣٥ـ ٣٦.

وكذلك يبعث السكران سكران والزامر زامرا وكل أحد على الحال الذي صده عن سبيل الله ومثله الحديث الذي روى في الصحيح[1] «أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه والقدح بيده وهو أنتن من كل جيفة على الأرض يلعنه كل من يمر عليه من الخلق».

والميت أيضا يحشر بظلامته وفي الصحيح[2] أن المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك حتى يقف بين يدى الله عز وجل.

فإذا ساقتهم الملائكة زمرا وأفواجا تحت كل واحد ما قدر له وجمعوا في صعيد واحد من أنس وجن وشيطان ووحش وسبع وطير تحولهم الملائكة إلى الأرض الثانية وهي أرض بيضاء من فضة نورية وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقه واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدثون حلقة واحدة فاذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثانية فيحدقون بالكل حلقة واحدة فإذا مثلهم: ثلاثين ضعفا. ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل فتكون حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم: خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم: ستين

---

(١) رواه مسلم والبخاري.

(٢) رواه مسلم والبخاري.

مرة تزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم: سبعين مرة. والخلق تتداخل ويندرج بعضهم في بعض حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام.

ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الآذان وإلى الصدر وإلى الحلقوم وإلى المنكبين وإلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام ومنهم من يصيبه البلل كالعطش إذا شرب الماء.

وأصحاب الرأى هم أصحاب الكراسي. وأصحاب الكعبين قوم يموتون غرقى. والملائكة تناديهم لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وحدثني بعض العارفين أنهم الأوابون كالفضيل بن عياض وغيره إذ النبي ﷺ قال:[1] «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» فإن دليل ذلك قول مطلق.

وهذه الأصناف الثلاثة أهل الرأي والرشح وأهل الكعب هم الذين تبيض وجوههم ومن دونهم تسود وجوههم. وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو أن أحدا مد يده يضاعف حرها سبعين مرة.

وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الصخر ونشفت الأنهار فبينما الخلائق يمرحون وهم في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله تعالى حيث يقول:[2] **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**

---

(١) رواه البيهقى في الشعب عن أنس وابن عساكر عن ابن عباس.
(٢) سورة ابراهيم، الآية: ٤٨.

وبرزوا لله الواحد القهار﴾ وهم على أنواع في المحشر وملوك أهل الدنيا كالذر كما روى في الخبر[١] في صفة المتكبر وليس هم كهيئة الذر عينا غير أن الأقدام تطأ عليهم حتى صاروا كالذر في مذلتهم وانخفاضهم.

وقوم يشربون ماء باردا عذبا صافيا لأن الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم.

وعن بعض السلف الصالحين أنه نام فرأى القيامة قد قامت وكأنه في الموقف عطشان ورأى صبيانا صغارا يسقون الناس قال فناديتهم: ناولونى شربة ماء فقال لي واحد منهم ألك فينا ولد قلت لا قال فلا إذا. وفي هذا فضل التزويج: ولهذا الولد الساقي شروط ذكرناها في كتابنا الإحياء وقوم قد دنا على رؤوسهم ظل يمنعهم من الحر وهي الصدقة الطيبة. ولا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقور الذي وصفناه في كتابنا الاحياء وهو من بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع له الأبصار لعظم نقره وتساق الرؤوس من المؤمنين والكافرين يظنون ذلك عذابا يزداد في هول القيامة فإذا بالعرش يحمله ثمانية أملاك يسير قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح لا يطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة فتطرق الرؤوس وتحصر وتنبجس وتشفق البرايا وترعب الأنبياء وتخاق العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله الذي لا يطيقه شيء فبينما هم كذلك إذ غشيهم نور غلب على نور الشمس

---

(١) رواه البزار عن أبي هريرة.

التي كانوا في حرها فلا يزالون يموج بعضهم في بعض ألف عام والجليل لا يكلمهم كلمة واحدة فحينئذ تذهب الناس إلى آدم عليه السلام فيقولون يا آدم يا أبا البشر الأمر علينا شديد.

وأما الكافر فيقول يا رب أرحمني ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول ويقولون يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه اشفع لنا في فصل القضاء فيؤمر بكل حيث يشاء سبحانه تعالى فيفعل بهم ما يشاء فيقول عصيت الله حيث نهاني عن أكل الشجرة وإنا أستحى أن أكلمه في هذه الحالة ولكن اذهبوا إلى نوح عليه السلام فإنه أول المسلمين فيقيمون ألف عام يتشاورون فيما بينهم ثم يذهبون إلى نوح فيقولون له أنت أول المرسلين فيذكرون له مثل ذلك ثم يطلبون منه الشفاعة في فصل القضاء بينهم فيقول: إنني دعوت دعوة أغرقت بها أهل الأرض وإنني أستحى من الله تعالى أن أساله مثل ذلك ولكن انطلقوا إلى ابراهيم خليل الله تعالى: هو سماكم المسلمين من قبل فلعله يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم ألف عام ثم يأتونه عليه السلام فيقولون له يا إبراهيم يا أبا المسلمين أنت الذي اتخذك الله خليلا فاشفع لنا إلى الله لعله. يفصل فيما بين خلقه فيقول لهم إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات جادلت بهن عن دين الله فأنا أستحى من الله أن أساله الشفاعة في مثل هذا المقام ولكن اذهبوا إلى موسى عليه السلام فإنه اتخذه الله كليما وقربه نجيا عسى أن يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم ألف عام والحال يزيد شدة والموقف ضيقا فيأتون موسى فيقولون له يا ابن عمران أنت الذي اتخذك الله كليما وقربك نجيا وأنزل إليك التوراة

فاشفع لنا في فصل القضاء فقد طال المقام واشتد الزحام وتراكمت الأقدام ونادى أهل الكفر والإسلام من طول المقام فيقول لهم موسى إني سألت الله تعالى أن يأخذ آل فرعون بالسنين وأن يجعلهم مثلا للآخرين وأنا أستحى من الله تعالى أن أسأله الشفاعة في مثل هذا المقام مع أسباب جرت بيني وبينه في المناجاة يلوح فيها تعريض الهلاك إلا أنه ذو رحمة واسعة ورب غفور لكن اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فإنه من أصح المرسلين يقينا وأكثرهم معرفة بالله تعالى وأشدهم زهداً وأبلغهم حكمة فلعله يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم ألف عام والحال يزيد شدة الموقف يزداد ضيقا وهم يقولون حتى متى نحن من رسول إلى رسول ومن كريم إلى كريم فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون له أنت روح الله وكلمته وأنت الذي سماك الله وجيها في الدنيا والآخرة اشفع لنا إلى ربك في فصل القضاء فيقول إن قومي اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فكيف أشفع عند من عبدت معه وسميت له ابنا وسمي لي أبا ولكن أرأيتم لو كان أحدكم كيس فيه نفقة وعليه خاتم أكان يبلغ إلى ما في الكيس حتى يفض الخاتم؟ قالوا: نعم يا نبيّ الله قال لهم اذهبوا إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين أخى العرب فإنه ادخر دعوته شفاعة لأمته وكثيراً ما آذاه قومه: شجوا جبينه وكسروا رباعيته وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وإنه لأحسنهم فخارا وأكبرهم شرفا وهو يقول كما قال الصديق لإخوته **﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾** وجعل يتلو عليهم من فضائله ﷺ مالم تمجه آذانهم حتى امتلأت نفوسهم حرصا على الذهاب إليه فساروا حتى أتوا إلى منبره ﷺ وقالوا له أنت حبيب الله والحبيب أوجه الوسائط

اشفع لنا إلى ربك فقد ذهبنا إلى أبينا آدم فأحالنا على نوح فذهبنا إلى نوح فأحالنا على إبراهيم وذهبنا إلى إبراهيم فأحالنا على موسى فذهبنا إلى موسى فأحالنا عليك ﷺ وليس بعدك مطلب ولا عنك مهرب فيقول ﷺ أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ثم ينطلق ﷺ إلى سرادقات الجلال فيستأذن فيؤذن له ثم يرفع الحجاب ويلج إلى العرش ويخر ساجدا يمكث فيها ألفا ثم يحمد الله تعالى بمحامد ماحمده بها أحد قط: قال بعض العارفين إن تلك المحامد التي أثنى الله بها على نفسه يوم فراغه من خلقه فيتحرك العرش تعظيما وقد حاز صحيفة من الصحف التي تقدم ذكرها في الإحياء والناس في تلك المدة قد ضاق مكانهم وساءت أحوالهم وترادفت أهوالهم وقد طوق كل واحد منهم ما بخل به في الدنيا فمانع زكاة الإبل يحمل بعيرا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم. ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم. والرغاء والخوار كالرعد القاصف.

ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاً قد ملئت من الجنس الذي كان يبخل به: برا كان أو شعيرا ثقل ما يكون ينادي تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا أقرع له زبيبتان وذنبه قد صب في منخره واستدار بجيده وثقل على كاهله حتى كأنه طوق به كل رحى في الأرض. وكل واحد ينادي ما هذا فتقول لهم الملائكة هذا ما بخلتم به رغبة فيه وشحا عليه وهو قوله تعالى[1] ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ وآخرون قد

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٨٠.

عظمت فروجهم وهي تسيل صديدا تتأذى بنتنهم جيرانهم. وآخرون قد صلبوا على جدوع النيران وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون. وهم الزناة واللاطة والكاذبون. وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسي وهم آكلوا الربا. وكل ذنب قد بدا سوء ذنبه ظاهرا عليه.

فصل
شفاعة النبي ﷺ

فينادى الجليل جل جلاله يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقول ﷺ يا رب افصل بين عبادك فقد طال مقامهم وقد أفصح كل واحد بذنبه في عرصات يوم القيامة فيأتى النداء نعم يا محمد ويأمر الله بالجنة فتزخرف ويؤتى بها ولها نسيم طيب أعبق ما يكون وأزكى فيوجد ريحها مسيرة خمسمائه عام فتبرد القلوب وتحيا النفوس إلا من كانت أعمالهم خبيثة فإنهم منعوا من ريحها فتوضع عن يمين العرش ثم يأمر الله تعالى أن يؤتى بالنار فترعب وتفزع وتقول للمرسلين إليها من الملائكة : أتعلمون أن الله خلق خلقاً يعذبني به فيقولون لا وعزته وإنما أرسل إليك لتنتقمى من عصاة ربك ولمثل هذا اليوم خلقت فيأتون بها تمشى على أربع قوائم تقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة على كل حلقة سبعون ألف زباني لو أمر زباني منهم أن يدك الجبال لدكها وأن يهد الأرض لهدها وإذا لها شهيق ودوى وشرر ودخان تفور حتى تسد الأفق ظلمة فاذا كان بينها وبين الخلق مقدار ألف عام انفلتت من أيدي الزبانية حتى تأتى إلى أهل الموقف ولها صلصلة وتصفيق وسحيق فيقال ما هذا فيقال جهنم انفلتت من، أيدي سائقيها ولم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها فيجثو الكل على

الركب حتى المتوسلون ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش هذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هارون وهذا قد نسى مريم ويجعل كل واحد منهم يقول يا رب نفسى لا أسألك اليوم غيرها وهو الأصح عندي ومحمد عليه الصلاة والسلام يقول أمتى أمتى سلمها ونجها يا رب وليس في الموقف من تحمله ركبتاه وهو قوله تعالى[1] : ﴿**وترى كل أمة جاثية**﴾ كل أمة تدعى إلى كتابها وعند تفلتها تكبو من الحنق والغيظ وهو قوله تعالى[2] : ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا**﴾ أي تعظيما وحنقا يقول سبحانه وتعالى[3] ﴿**تكاد تميز**﴾ أي تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها فيبرز ﷺ ويأخذ بخطامها ويقول لها ارجعي مدحورة إلى خلفك حتى تأتيك أفواجك فتقول خل سبيلى فإنك يا محمد حرام فينادي مناد من سرادقات العرش اسمعى منه وأطيعى له ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بجذبها فيخف وجلهم وهو قوله تعالى:[4] ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

فهنالك ينصب الميزان وهو كفتان كفة من نور عن يمين العرش وكفة عن يساره من ظلمة ثم يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس تعظيما له وتواضعا إلا الكفار فان أصلابهم تعود حديدا فلا يقدرون على السجود وهو قوله تعالى[5] ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الفرقان: ٦٢.
(٣) سولة الملك: ٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٥) سورة القلم، الآية: ٤٢.

وروى البخاري في تفسيره مسندا إلى رسول الله ﷺ قال[1] : «يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد كل مؤمن ومؤمنة» وقد أشفقت من تأويل الحديث وعدلت عن منكريه.

وكذا أشفقت من ذكر صفة الميزان وزيفت قول واضعيه بالمثل وجعلته محيزا إلى العالم الملكوتى فإن الحسنات والسيئات أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا بالميزان الملكوتى.

فبينما الناس ساجدون إذ نادى الجليل بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان حكاه البخاري لا يجاوزنى ظلم ظالم فإن جاوزنى فأنا الظالم ثم يحكم بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحش والطير ثم يقول لها كوني ترابا فتسوى بها الأرض. ويتمنىٰ الكافر فيقول[2] ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ ثم يخرج النداء من قبل الله أين اللوح المحفوظ فيرى به هوج عظيم فيقول الله أين ماسطرت فيك من توراة وانجيل وفرقان فيقول سلبنى الروح الأمين فيؤتى به يرعد وتصطك ركبتاه فيقول الله يا جبريل هذا اللوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحي أصدق فيقول نعم يا رب فيقول له فما فعلت فيه فيقول أنهيت التوراة إلى موسى والانجيل إلى عيسى والفرقان إلى محمدﷺ وأنهيت إلى كل رسول رسالته وإلى أهل الصحف صحائفهم فإذا بالنداء يا نوح فيؤتى به يرعد وتصطك فرائصه فيقول له يا نوح زعم جبريل أنك من المرسلين قال صدق فيقول له ما فعلت مع

---

(١) رواه البخاري.
(٢) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

قومك قال دعوتهم ليلا ونهارا[١] ﴿فلم يزدهم دعائى إلا فرارا﴾ فاذا بالنداء يا قوم نوح فيؤتى بهم زمرة واحدة فيقال هذا أخوكم نوح يزعم أنه بلغكم الرسالة فيقولون يا ربنا كذب ما بلغنا من شيء وينكرون الرسالة فيقول الله يا نوح ألك بينة عليهم فيقول نعم يا رب بينتى عليهم محمد وأمته فيؤتى بالنبي فيقول الله عز وجل يا محمد هذا نوح يستشهدك فيشهد له بتبليغ الرسالة ويقرأ ﷺ ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ إلى آخرها.

فيقول الجليل قد وجب عليكم الحق وحقت عليكم كلمة العذاب فقد حقت على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن عمل ولا حساب ثم ينادى أين عاد فيفعل قوم هود مع هود كما فعل مع نوح فيشهد عليهم النبي وخيار أمته فيتلو[٢] ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ فيؤمر بهم إلى النار ثم ينادي يا صالح ويا ثمود فيأتون فيستشهدون عندما ينكرون النبي ﷺ فيتلو[٣] ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ إلى آخر القصة فيفعل بهم مثلهم ولا يزال يخرج أمة بعد أمة قد أخبر عنهم القرآن بيانا وذكرهم فيه إشارة كقوله تعالى[٤] ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ وقوله[٥] : ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه﴾ وقوله[٦] : ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم﴾.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٦.
(٢) سورة الشعراء: ١٢٣.
(٣) سورة الشعراء: ١٤١.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.
(٦) سورة ابراهيم، الآية: ٩.

وفي هذا تنبيه على أولئك القرون الطاغية كقوم يارخ ومارخ ودوح وأسر وما أشبه ذلك حتى ينتهى النداء إلى أصحاب الرس وتبع وقوم إبراهيم وفي كل ذلك لا يروج أي يرتفع لهم ميزان ولا توضع لهم حساب وهم عن ربهم يومئذ محجوبون والترجمان يكلمهم لأن من نظر إليه الله وكلمة لم يعذب ثم ينادي بموسى فيأتى وهو كأنه ورقة في ريح عاصف فيقول له يا موسى إن جبريل زعم أنك بلغت الرسالة والتوراة فتشهد له بالبلاغ قال نعم قال فارجع إلى منبرك واتل ما أوحى إليك فيرقى المنبر ويقرأ فينصت كل من في الموقف فيأتى بالتوراة غضة طرية على حسبها يوم انزلت حتى يتوهم الأخبار أنهم ما عاعرفوها يوما ثم ينادى ياداود فيأتى وهو يرعد كأنه ورقة في ريح عاصف ويقول جل ثناؤه يا داود زعم جبريل أنه بلغك الزبور فتشهد له بالبلاغ فيقول نعم يا رب فيقول له ارجع إلى منبرك واتل ما أوحى إليك فيرقى ويقرأ وهو أحسن صوتا وفي الصحيح أنه صاحب مزامير أهل الجنة. فيسمع صوته أما تابوت السكينة فيقتحم الجموع ويتخطى الصفوف حتى يصل إلى داود فيتعلق به فيقول أما وعظك الزبور حتى نويت لى شرا فيخجله ويسكته مفحما فيرتج الموقف لما يرى الناس من شأن داود عليه السلام ثم يتعلق به فيسوقه إلى الله فيرخى عليهم الستر فيقول يا رب أنصفنى منه فإنه تعمدنى بالهلاك وجعلني أقاتل حتى قتلت وتزوج امرأتي وعنده يومئذ تسع وتسعون امرأة غيرها فيلتفت الجليل إلى داود فيقول له أصدق فيما يقول فيقول له نعم يا رب وهو منكسر رأسه حياء وتوقعا لما ينزل به من العذاب ورجاء فيما وعده الله من المغفرة فكان إذا خاف نكس رأسه وإذا

طمع ورجا رفعه فيقول الله تعالى قد عوضتك عن ذلك كذا وكذا من القصور والولدان فيقول رضيت يا رب ثم يقول لداود اذهب قد غفرت لك. وكذا شأنه سبحانه وتعالى مع من أكرمه يعطي عنه من سعة رفده وعظيم عفوه ثم يقول له ارجع إلى منبرك واقرأ بما بقى من الزبور فيفعل حينئذ فيؤمر بني إسرائيل أن ينقسموا قسمين قسم مع المؤمنين وقسم من المجرمين. ثم ينادي المنادي أين عيسى بن مريم فيؤتى به فيقول له أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فيحمد ما شاء الله ويثني عليه كثيرا ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار ويقول ﴿**سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته**﴾[1] ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**﴾ فيضحك الله تعالى ويقول[2] ﴿**هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم**﴾. صدقت يا عيسى ارجع إلى منبرك واتل الإنجيل الذي بلغك جبريل فيقول نعم ثم يقرأ فتشخص إليه الرؤوس من حسن ترديده وترجيعه فإنه أحكم الناس به رواية فيأتي به غضا طريا حتى يظن الرهبان أنهم ما علموا منه آية قط ثم ينقسم النصارى فرقتين المجرمون مع المجرمين والمؤمنون مع المؤمنون . ثم يخرج النداء أين محمد فيؤتى به ﷺ فيقول له يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك القرآن فيقول نعم يا رب فيقال له ارجع إلى منبرك واقرأ فيتلو ﷺ القرآن فيأتي به غضا طريا عليه حلاوة يستبشر بها المتقون وإذا وجوههم ضاحكة مستبشرة. والمجرمون وجوههم مغبرة ويستدل على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩

السؤال المتقدم للرسل والأمم بقوله تعالى[1] : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾.

وقيل بقوله تعالى[2] ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب﴾.

والأول أصح حكيناه في الإحياء لأن الرسل يتفاضلون والمسيح عليه السلام من أجلهم أنه روح الله وكلمته. فاذا تلا النبي ﷺ القرآن توهمت الأمة أنهم ما سمعوه قط.

وقد قالوا للأصمعي تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله تعالى قال يا ابن أخي يوم أسمعه من النبي ﷺ كأني ما سمعته قط فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال: [3] ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾.

فيرتج الموقف ويقوم فيه روع عظيم. والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببني آدم ولج الكل لجة واحدة ثم يخرج النداء يا آدم ابعث من بنيك بعثا إلى النار. فيقول كم يا رب فيقول له من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدا إلى الجنة فلا يزال يستخرج من سائر الملحدين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة الرب كما قال الصديق نحو حفنة من حفنات الرب ثم يقرب اللعين بالشياطين فمنهم من يزيغ له الميزان فإذا سيئاته ترجح على حسناته وكل من وصلت إليه الشريعة لابد له من ميزان اعتزلوا وأيقنوا أنهم هالكون قالوا آدم ظلمنا ومكن الزبانية من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة يس، الآية: ٥٩.

نواصينا فإذا النداء من قبل الله تعالى: لا ظلم اليوم ﴿**إنَّ الله سريعُ الحسابِ**﴾[1] فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق فما من ﴿**صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصَاها**﴾ ﴿**ولا يظلمُ ربُّك أحَداً**﴾[2] وذلك أن أعمال الخلائق كل يوم تعرض على الله فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى:[3] ﴿**إنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾ ثم ينادي بهم فردا فردا فيحاسب كل واحد منهم فاذا الأقدام تشهد واليدان تشهدان وهو قوله تعالى[4] : ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾.

وقد جاء في الخبر أن رجلا منهم يوقف بين يدي الله تعالى فيقول له يا عبد السوء كنت مجرما عاصيا فيقول ما فعلت فيقال له عليك بينة فيؤتى بحفظته فيقول كذبوا علي ويجادل على نفسه وهو قوله تعالى[5] : ﴿**يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها**﴾.

ويختم على فيه وهو قوله تعالى[6] : ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾. فتشهد جوارحه عليه فيؤمر به إلى النار فيجعل يلوم جوارحه فتقول له ليس عن اختيارنا. أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.
(٤) سورة النور، الآية: ٢٤.
(٥) سورة النحل، الآية: ١١١.
(٦) سورة يس، الآية: ٦٥.

ثم يدفعون بعد الفراغ إلى خزنة جهنم فترتج أصواتهم بالبكاء والضجيج ويكون لهم رجة عظيمة حين يعرض الموحدون المؤمنون فتحدق بهم الملائكة تلقى كل واحد منهم يقول: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

والفزع الأكبر في أربعة مواضع: عند نقر الناقور وعند تفلت جهنم من الخزنة. وعند إخراج بعث آدم. وعند دفعهم إلى الخزنة.

فإذا بقي الموقف ليس فيه إلا المؤمنون والمسلمون المحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى يا أهل الموقف من ربكم فيقولون الله فيقول لهم تعرفونه فيقولون نعم فيتجلى لهم ملك على يسار العرش لو جعلت البحار السبعة في نقرة إبهامه ما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم بأمر الله فيقولون نعوذ بالله منك فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر في نقرة إبهامه ما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم فيتعوذون بالله منه ثم يتجلى لهم الله تعالى في الصورة التي كانوا يعرفونها وسمعوه وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول أهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط والناس أفواج أعني المرسلين ثم النبيين ثم الصديقين ثم المحسنين ثم الشهداء ثم المؤمنين ثم العارفين ويبقى المسلمون منهم المكبوب على وجهه ومنه المحبوس في الأعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان ومنهم من يجوز الصراط على مائة عام.

وآخر يجوز على ألف عام.

ومع ذلك كله لم تحرق النار كل من رأى ربه عيانا لا يضام في رؤيته.

وأما المسلم والمحسن والمؤمن فقد كشفنا عن مقام كل واحد منهم في كتابنا المسمى بالاستدراج وهم في زمرة الانطلاق قد كثر مرورهم وترددهم بالجوع والعطش قد تفتتت أكبادهم لهم نفس كالدخان يشربون من الحوض بكؤوس عدد نجوم السماء وماؤه من نهر الكوثر وقدره من إيلياء إلى صنعاء طولا وعرضه من عدن إلى يثرب وهو قوله عليه الصلاة والسلام[1] : «منبرى على حوضى» أي على أحد حافتيه في المكيال والمقدار والمذادون عنه هم المشتغلون في حبس الصراط بمساوى قبائح ذنوبهم فكم من متوضىء لا يحسن أن يسبغ وضوءه وكم من مصل لم يسأل عن صلاته اتخذ صلاته حكاية قد عريت من الخضوع والخشوع لو قرصه نملة لالتفت.

والعارفون بحلال الله لو قطعت أيديهم وأرجلهم ماارتجوا لذلك شغلتهم الهيبة والفكرة لعملهم بقدر ما قاموا بين يديه فربما رجل لسعته العقرب في مجلس أمير من الأمراء لم يتحرك صبرا عليها وتعظيما للأمير في المجلس فهذه حالة الآدميين مع مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف حال من يكون قائما بين يدي الله عز وجل وهيبته وسلطانه وعظمته وجبروته وحكى الظالم

---

(١) روى مثله البخاري.

العارف أنه يؤتي به إلى الله تعالى فتخرج عليه المظالم ويتعلق به المظلوم فيقول له التفت أيها المظلوم فوق رأسك فإذا بقصر عظيم تحار فيه الأبصار فيقول ما هذا يا رب فيقول أنه للبيع فاشتره مني فيقول ليس معي ثمنه فيقول إن ثمن هذا أن تبرىء مظلمة أخيك فالقصر لك فيقول قد فعلت يا رب هكذا يفعل الله بالظالمين الأوابين وهو قوله تعالى[1] : ﴿إِنَّه كانَ للأَوّابينَ غَفوُراً﴾ والأواب الذي أقلع عن الذنب فلم يعد أبدا وقد سمى داود عليه السلام أوابا وغيره من المرسلين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

فصل
في كيفية دعاء أهل الموقف وذكر الاختلاف فيما جاء في تفسيره

وفي الصحيح[1] أن أول ما يقضى الله تعالى في الدماء وأول من يعطى الله أجورهم: الذين ذهبت أبصارهم. نعم ينادى يوم القيام بالمكفوفين فيقال لهم أنتم أحرى أي أحق من ينظر إليه ثم يستحى الله منهم فيقول لهم أذهبوا إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية وتجعل في يد شعيب عليه السلام فيصير أمامهم ومعهم من ملائكة النور مالا يحصى عددهم إلا الله يزفونهم كما تزف العروس فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف وصفة أحدهم في الصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من هذه الأمة.

ثم ينادى أين أهل البلاء ويريد المجذومين فيؤتى بهم فيجيهم الله بتحية طيبة بالغة فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد أيوب عليه السلام فيصير أمامهم إلى ذات اليمين وصفة المبتلى صبر وحلم: كعقيل بن أبي طالب ومن ضاهاه من هذه الأمة. ثم ينادي أين الشباب المتعففون فيؤتى بهم إلى الله فيترحب بهم ويقول ما شاء الله أن يقول ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقدلهم راية خضراء ثم تجعل في يد يوسف عليه

(١) رواه مسلم والبخاري

السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين وصفة الشباب صبر وحلم كراشد بن سليمان ومن ضاهاه من هذه.

ثم يخرج النداء أين المتحابون في الله فيؤتى بهم إلى الله فيترحب بهم ويقول ما شاء الله ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وصفة المتحابين في الله صبر وحلم لا يسخط ولا يسيء من توارد الأحوال الدنيوية كأبى تراب أعنى علي ابن أبي طالب رضى الله عنه ومن ضاهاه من هذه الأمة ثم يخرج النداء أين الباكون من خشية الله فيؤتى بهم إلى الله فتوزن دموعهم ودماء الشهداء ومداد العلماء فيرجع الدمع فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة لأنهم بكوا في أنواع مختلفة هذا بكى خوفا وهذا بكى طمعا وهذا بكى ندما وتجعل بيد نوح عليه السلام فتهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون علمنا أبكاهم فاذا النداء على رسلك يا نوح فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء ودم الشهاء فيرجح دم الشهداء على مداد العلماء فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة وتجعل في يد يحيى ثم ينطلق أمامهم فهم العلماء بالتقدم ويقولون عن علمنا قاتلوا فنحن أحق منهم بالتقدم فيضحك الله عز وجل ويقول هم عندي كانبيائي اشفعوا فيمن تشاؤن فيشفع العالم في أهل بيته وجيرانه وإخوانه ويأمر كل واحد منهم ملكا ينادي في الناس ألا إن فلانا العالم قد أمره الله أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة أو سقاه شربة ماء حين عطش فيقول إليه من فعل معه شيئا من ذلك فيشفع له .

وفي الصحيح[1] أن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم

---

(١) رواه البخاري.

العلماء ويعقد لهم راية بيضاء تجعل في يد إبراهيم عليه السلام فإنه أشد المرسلين مكاشفة. ونضرب عن هذا الفن. ثم ينادي مناد أين الفقراء فيؤتى بهم إلى الله تعالى. فيقول لهم مرحبا بمن كانت الدنيا سجنهم ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وتعقدلهم راية صفراء وتجعل في يد عيسى عليه السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين. ثم ينادي أين الأغنياء فيؤتى بهم إلى الله تعالى فيعدد لهم ماخولهم خمسمائة عام ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان عليه السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين.

وفي الحديث[1] : «أن أربعة يستشهد عليهم بأربعة ينادي بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا ملكا وغبطة شغلتنا عن القيام بحقه فيقال: من أعظم ملكا أنتم أم سليمان؟ فيقولون: سليمان، فيقال: ما شغله ذلك عن القيام بحقي؟ ثم يقال: أين أهل البلاء؟ فيؤتى بهم فيقولون: لهم: أي شيء شغلكم عن عباد الله؟ فيقولون: ابتلانا الله في الدنيا فشغلنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم: من أشد بلاء أنتم أم أيوب؟ فيقولون: أيوب فيقال: لهم ما شغله ذلك عن القيام بحق الله، ثم ينادي أين الشباب والمماليك؟ فيؤتى بهم فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: أعطانا جمالاً وحسناً فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه وتقول المماليك:

---

(١) رواه البهقي.

شغلنا رق العبودية فيقال لهم: أنتم أكثر جمالا أم يوسف؟ فيقولون: يوسف فيقال: لهم ما شغله ذلك وهو في الرق عن القيام بحق الله؟ ثم ينادي أين الفقراء فيؤتى بهم فيقال لهم: ما شغلكم عن القيام بحق الله؟ فيقولون: ابتلانا في الدنيا بالفقر شغلنا عن القيام بحق الله فيقال لهم: من أشد فقراً عيسى أم أنتم؟ فيقولون: عيسى فيقال: ما شغله عن ذكرنا فمن ابتلى بشيء من هذه الأربع فليذكر صاحبه».

وقد كان ﷺ يقول في دعاءه[1] : «اللهم إني أعوذ بك من فتنة الغنى والفقر» فاعتبروا بالمسيح فقد صح أنه ما كان يملك شيئاً قط وقد لبس جبة صوف عشرين سنة وما كان له في سياحته إلا كوز وسبحة ومشط فرأى يوماً رجلاً يشرب بيده فرمى الكوز ولم يمسكه بعد ورأى رجلا آخر يخلل لحيته بيده فرمى المشط من يده ولم يمسكه بعد وكان يقول عليه السلام دابتي رجلاى وبيوتي كهوف الأرض وطعامي نباتها وشرابي أنهارها وفي بعض الصحف المنزلة يا بن آدم حسنة وسيئة من أنواع الحياة والقتل متعمدا والخطأ أيضا إذا استهين بكفارته ولم يقتص فاحذرهما فإنهما فعل عظيم والكبائر قد يرجى لصاحبها الشفاعة بعد التخليص فأكرمهم يخرج من النار بعد ألف سنة وقد امتحش.

وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول في كلامه يا ليتنى ذلك الرجل ولا شك أنه كان رحمه الله تعالى عالما بأحكام الآخرة ويؤتى يوم القيامة برجل فلم يجد حسنة ترجح بها ميزانه أو قد

---

(١) رواه البخاري.

اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب في الناس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيسير يجوس خلال الناس فما يجد أحد يكلمه في ذلك وكل من كلمه وسأله يقول أخشى أن يخفف ميزاني أنا أحوج إليها منك فييأس فيقول له رجل ما الذي تطلب فيقول له حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها ألوف فبخلوا علي فيقول له الرجل لقد لقيت الله تعالى فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما أظن أنها تغنى عني سيأخذها هبة مني إليك فينطلق بها فرحا مسروراً فيقول الله له كيف جاء لك وهو سبحانه أعلم فيقول ما كان منه مع الرجل فيدعى بالرجل الذي أعطاه الحسنة فيقول الله تعالى كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلق به إلى الجنة.

وإذا استوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله لا هو من أهل الجنة ولا هو من أهل النار فيأتي الملك بصحيفة يضعها في كفة السيئات فيها مكتوب أف فترجح على الحسنة لأنها كلمة عقوق فيؤمر به إلى النار فيلتفت الرجل ويطلب أن يرده الله إليه فيقول ردوه ثم يقول له أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرد فيقول إلهي إني رأيت أني سائر إلى النار لا بد لي منها وكنت عاقا لأبي فضعف على عذاب أبي وأنقذه منها قال فيضحك الله ويقول عققته في الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أبيك وانطلق به إلى الجنة فما من أحد يذهب إلى النار إلا والملائكة توقفه لعلمهم بسر أحكام الآخرة حتى لقد ينادى بقوم لاخلاق لهم خلقوا خطباً لها وحشوا فيقال وقفوهم أنهم مسئولون فتحبس تلك الزمرة حتى يخرج النداء فيهم: مالكم لا تناصرون. فيستسلمون ويعترفون بالذنب كما قال

الله تعالى[1] : ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾. فيدفعون دفعة واحدة إلى النار.

وكذا يؤتى بأهل الكبائر من الأمة شيوخا وعجائز ونساء وشبانا فاذا نظر إليهم مالك خازن جهنم قال أنتم معاشر الأشقياء مالي أرى أيديكم لا تغسل ولم تسود وجوهكم ما ورد على أحسن حالا منكم فيقولون يا مالك نحن أشقياء أمة محمد دعنا نبكي على ذنوبنا فيقول لهم ابكوا فلن ينفعكم البكاء فكم من شيخ وضع يده على لحيته يقول واشيبتاه وأطول حزناه وكم من كهل ينادي وأطول مصيبتاه واذل مقاماه وكم من شاب ينادي واشباباه وكم من أمراة قبضت على شعرها وهي تنادي و اسوأتاه وافضيحتاه فإذا النداء من قبل الله تعالى يا مالك أدخلهم النار من الباب الأول فإذا همت النار أن تأخذهم يقولون بأجمعهم لا إله إلا الله فتفر النار منهم مسيرة خمسائة عام فيأخذون في البكاء وإذا النداء يا نار خذيهم يا مالك أدخلهم الباب الأول فعند ذلك يسمع صلصلة كصلصلة الرعد فإذا النار همت أن تحرق القلوب زجرها مالك وجعل يقول لا تحرقي قلبا فيه القرآن وكان وعاء للإيمان ولا تحرقي جباها سجدت للرحمن فيعودون فيها وإذا برجل يعلو صوته على صوت أهل النار فيخرج وقد أمتحش فيقول الله له مالك أكثر أهل النار صياحا فيقول يا رب حاسبتنى ولم أقنط من رحمتك وعلمت أنك تسمعنى فأكثرت الصياح فيقول الله تعالى[2] : ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٨.

اذهب فقد غفرت لك وكذا يخرج من النار فيقول الله له خرجت من النار فبأي عمل تدخل الجنة فيقول يا رب ما أسالك منها إلا يسيراً فترفع له شجرة منها فيقول الله أرأيت إن أعطيتك هذه الشجرة تسألني غيرها فيقول لا وعزتك يا رب فيقول الله هي هبة مني إليك فإذا أكل منها واستظل بظلها رفعت له شجرة أخرى أحسن منها فيجعل يكثر النظر إليها فيقول الله مالك لعلك احببتها فيقول نعم يا رب فيقول له إن أعطيتك أياها هل تسألني غيرها فيقول لا يا رب فإذا أكل واستظل بظلها رفعت له شجرة أحسن منها فيجعل ينظر إليها فيقول الله له إن أعطيتك إياها تسألني غيرها فيقول لا وعزتك يا رب لا أسألك غيرها فيضحك الله عز وجل فيدخله الجنة. ومن غريب حكم الآخرة أن الرجل يؤتى به إلى الله فيحاسبه ويوبخه وتوزن له حسناته وسيآته وهو في ذلك كله يظن يقينا أن الله ما اشتغل إلا بحسابه ووزنه ولعل في تلك اللحظة حاسب فيها آلاف ألوف مالا يحصى عدتهم إلا الله كل منهم يظن أن الحساب له وحده وكذا لا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع أحدهم كلام الآخرة بل كل واحد تحت أستاره فسبحان من هذا شأنه وهو قوله تعالى[1] : **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾**.

وهو في قوله سر عجيب من أسرار الملكوت إذ ليس لملكه حد محدود فسبحان مالا يشغله شأن عن شأن وفي هذه الحالة يأتي الرجل إلى ولده فيقول له يا بني إني كسوتك حيث لا تقدر

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

تكسو نفسك وأطعمتك طعاما وسقيتك شرابا حيث كنت عاجزاً عن ذلك وكفلتك صغيرا حيث كنت لا تستطيع دفع الضراء ولا جلب السراء فكم من فاكهة تمنيتها فابتعتها لك حسبك ما ترى من هول يوم القيامة وسيئآت أبيك كثيرة فتحمل عني منها ولو سيئة فيخف عني وأعطني ولو حسنة أزيدها في الميزان فيفر منه الولد ويقول له أنا أحوج منك إليها وكذا يفعل الفصيل مع الفصيلة والصاحب والأخ وهو قوله تعالى[١] **﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه﴾** وفي الحديث[٢] «يحشر الناس عراة: قالت عائشة رضي الله عنها: واسوأتاه ينظر بعضهم إلى بعض فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم[٣] : **﴿لكلِّ امرئٍ منْهُمْ يومئذٍ شَأْنٌ يُغْنيهِ﴾** أن شده الهول وعظم الكرب تشغلهم أن ينظر بعضهم إلى بعض. فإذا استقر الناس في صعيد واحد طلعت عليهم سحابة سوداء فأمطرتهم صحفا منشرة فإذا صحيفة المؤمن ورقة ورد وإذا صحيفة الكافر ورقة سدر والكل مكتوب فتتطاير الصحف فإذا هي بالميامن والمياسر وليس عن اختيار وإنما هي تقع بيمينه وبشماله وهو قوله تعالى[٤] : **﴿ونخْرِجُ لهُ يومَ القيامةِ كتَاباً يلقَاهُ منَشوُراً﴾**.

وحكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد جواز الصراط وهو غلط من قائله فإنه لعين: يرده من قد جاز

---

(١) سورة عبس، الآية: ٣٤.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) سورة عبس، الآية: ٣٧.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

الصراط ففي السبعة جسور يهلك الناس.

والسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وإنما هي براءة مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان بدخول الجنة ونجاته من النار فإذا غفرت له ذنوبه أخذ الملك بعضده وجاس به خلال الموقف ونادى هذا فلان بن فلانة قد غفر الله له ذنوبه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام والرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على المنابر صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان المسك وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم عليه السلام ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ نسأل الله العصمة والتوفيق بمنه وكرمه آمين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الآيات الكريمة

الصفحة

فهرس الأحاديث الشريفة

الفهرس العام